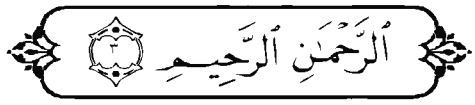

اشتقاقهما :

اسمان من أسماء الله ، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمن أشد مبالغة من رحيم قال U : { ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ } [1] وقال تعالى : { ۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [2] .

وقال تعالى : { وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [3] .

معناهما :

جاء في بعض الآثار التي أوردها إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله :

قال العَزْرمي: يقول { ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ } قال : الرحمن بجميع الخلق ، والرحيم ، قال : بالمؤمنين [4] . فهو رحمنٌ بجميع خلقه ، يُغدق عليهم رزقه ومطره ، وينعم عليهم بنعمة الحواس ، وسائر النعم العامة ، وهو سبحانه

---

(١) طه : ٥ .

(٢) الأنبياء : ٨٣ .

(٣) المؤمنون : ١١٨ .

(٤) تفسير الطبري : (١/ ١٢٦ ، ١٢٧) .

رحيمٌ بأهل الإيمان ، ينعم عليهم بنعمة الإيمان والهداية لهم ، واللطف بهم ، والمعية معهم ؛ قال الله U : { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا } [1].

والفرق بين " الرحمن " و " الرحيم " ما ذكره الإمام ابن جرير [2] – رحمه الله – حيث قال : " ... وذلك أنَّ المعنى الذي في تسمية الله بالرحمن ، دون الذي في تسميته بالرحيم ، فالتسمية بالرحمن موصوفٌ بعموم الرحمةِ جميعَ خلقه ، والتسمية بالرحيم موصوفٌ بخصوص الرحمة بعضَ خلقه ، إمَّا في كل الأحوال ، وإمَّا في بعض الأحوال " أ . هـ .

وروى ابن جرير الطبري عن أبي سعيد قال : قال رسول الله e : (إن عيسى بن مريم u قال : "الرحمن : رحمن الآخرة والدنيا ، والرحيم : رحيم الآخرة ") [3] .

وقال ابن المبارك : الرحمن إذ سئل أعطى ، والرحيم إذا لم يُسأل يغضب.

قال أحدهم :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب

اختصاصهما :

والرحمن مختصٌّ بالله U ، ولا يجوز أن يُسمّى به غيره قال تعالى :

---

(١) الأحزاب : ٤٣ .

(٢) تفسير الطبري : (١/ ١٢٦ ، ١٢٧) .

(٣) تفسير الطبري : (١ / ١٢٦) .

{ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ } [1] ، وقال سبحانه : { ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ } ، وقال جل وعلا : { هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا } ، ولأجل هذا لم يُتَسَمَّ أحدٌ باسم الرحمن لاختصاصه بالرب جلَّ وعلا؛ ولَّما تجرأ الشقيُ مُسيلمةُ الكذّاب ووصف نفسه بـ "رحمن اليمامة"؛ ألبسه الله جلبابَ الكذب، وصارَ الكذّاب اسماً له لا يُعرفُ إلا به، فلا يذكر أحدٌ اسمه (مُسيلمة) إلا وأتبعه بالكذَّاب ، لأنه تسمَّى باسم الله الذي لا يتسمى به أحدٌ إلا الله .

وأما الرحيم ، فقد يسمى به أحدٌ من الخلق ، لقوله تبارك وتعالى عن النبي e : { لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } [2] .

وقال ابن عباس : { ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ } : الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه ، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه .

ورحمة الله تبارك وتعالى وسعت كل شيء ، كما قال U : { وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ } [3] .

بل إن إسلامنا وديننا ونبينا وشريعتنا وما أنزل الله U علينا من نور وهداية كله رحمة من الله تبارك وتعالى ، اختصر الله U ذلك كله فقال

---

(١) الإسراء : ١١٠ .

(٢) التوبة : ١٢٨ .

(٣) الأعراف : ١٥٦ .

سبحانه وتعالى : { وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ }[1] فالصلاة رحمة ، والصيام رحمة، والصدقات رحمة، وصلة الأرحام رحمة، وبر الوالدين رحمة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رحمة، وكل قربةٍ تتقرب بها إلى الله U هي رحمة، ونبينا عليه الصلاة والسلام كما ذكر هو عن نفسه عليه الصلاة والسلام هو الرحمة المهداة إلى خلق الله تبارك وتعالى.

عن أبي هريرة t قال : سمعت رسول الله e يقول :(**إنَّ لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدةً ، بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحوش على ولدها ، وأخَّر الله تسعاً وتسعين رحمة ، يرحم بها عباده يوم القيامة**)[2].

فما نراه من هذه الرحمة بين الأم وابنها ، وبين البهيمة ووليدها ، وبين الناس جميعاً ، ما نراه من هذه الرحمة الموجودة في الدنيا كلها ، ما هي إلا رحمةٌ واحدةٌ فقط من مائة رحمة، وأَخَّرَ سبحانه وتعالى تسعةً وتسعين رحمةً، ادَّخَرها لعباده المؤمنين يوم القيامة ، ادَّخَرها للمؤمنين ، ولم يُبقِ لأهل النار رحمةً واحدة والعياذ بالله U من ذلك اليوم الرهيب العظيم .

ورحمة الله U بعباده واضحة وجليَّة ، ولكن ما حظنا نحن المسلمين من هذه الرحمة ؟! وما الذي طلبه الله U منَّا من هذه الرحمة ؟! وما هو الجانب

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٠ ، ٦٤٦٩) ، ومسلم (٢٧٥٢ ، ٢٧٥٣ ، ٢٧٥٥) .

العملي عندما نتكلم عن الرحمة وعن الرحمن وعن الرحيم ؟ ما هو جانبنا العملي ، نحن المسلمون ، نحن أمة محمد عليه الصلاة والسلام ؟!.

نحن مطالبون بالرحمة العامة ، ومطالبون بالرحمة الخاصة .

أما الرحمة العامة : فهي رحمة المسلمين أجمعين ، بل ورحمة الكافرين أيضاً بإنقاذهم من عذاب الله U ، ورحمة البهائم ، ورحمة الجمادات ، ورحمة كل شيء .

وفي الحديث الحسن عن أبي موسى t ، أنه سمع النبي e يقول : (**لن تؤمنوا حتى تراحموا**) لن يستقر الإيمان ويكتمل في قلوبكم ، إلا بالتراحم واللين والشفقة ، أما إذا تيبست هذه المعاني وأصبحت متحجرة ، وأصبحت يابسة ، وأصبحت قاسية وشديدة ، فإن ذلك علامةً على قسوة القلب، وضعف الإيمان، والعياذ بالله U، قال : (**لن تؤمنوا حتى تراحموا**) قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (**إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه**) ليست هذه الرحمة التي أعنيها رحمة أحدكم بصاحبه أو قريبه أو حبيبه (**ولكنَّها رحمةُ العامَّة**) [1] لين القلب مع كل الناس من عرفت ومن لم تعرف .

وروى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله t قال : قال رسول الله e : (**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**) [2] .

---

(١) قال المنذري في " الترغيب " (٣٣٣٢) : رواه الطبراني ، ورواته رواة الصحيح .

(٢) رواه البخاري (٦٠١٣) ، ومسلم (٢٣١٩) .

فالجزاء من جنس العمل، وقد قال الله سبحانه وتعالى: { إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }[1] ، فمن كان رحيماً بخلق الله ، كان الله U رحيماً به ، وعامله بمثل عمله ، وقابله بمثل صنيعه ، ومن كان قاسياً على عباد الله ، ومن كان شديداً عليهم عامله الله كذلك .

ونحن في هذه الأيام وللأسف الشديد ، قلَّ فيها من يرحم أولاده ، أو يرحم أقاربه، أو يرحم أصدقاءَه ، فضلاً عن أن يرحم الفقير والمسكين والضعيف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهذا من علامة ضعف الإيمان ، ومن علامات خواء القلوب من مراقبة علام الغيوب سبحانه وتعالى ؛ لَمَّا خَلَت قلوبنا من هذه المراقبة ، أصبحت قاسية ، فترى ذاك الإنسان يُصِرُّ على إخراج مَن في بيته من المستأجرين لأنه تأخر في سداد الأجرة ؛ انتظر يا أخي قليلاً ، سامح ، أو اصبر إلى أن يُيسِّرَ الله له أمره ، كما قال سبحانه : { وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ }[2] كيف تريد أن يخرج هذا من بيته إلى الشارع وهو لا يملك المال ؟! هو أخوك المسلم ، عليك أن تدبر أمرَه وترحمه .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله e قال : (**الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**)[3] لا ترحم من في الأرض حتى يرحمك من في الأرض ، وإنما

---

(١) الطور : ١٦ ، التحريم : ٧ .

(٢) البقرة : ٢٨٠ .

(٣) رواه أبو داود (٤٩٤١) ، والترمذي (١٩٢٤) وقال : حديث حسن صحيح .

ارحم من في الأرض حتى يرحمك من في السماء ، اطلب من الله U أن يرحمك برحمتك لعباد الله .

وعن أبي هريرة t قال : سمعت الصادق المصدوق e يقول : (**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**) [1] والعياذ بالله U .

فإذا رأى الإنسان من نفسه قسوةً في معاملة خلق الله ، فليعلم أن فيه شقاوةً والعياذ بالله U ، وليجتهد أن يخلص نفسه من تلك الشقاوة ، لأن الشقاوة إذا ختم الله U حياة الإنسان عليها ؛ أصحبت شقاوةً دائمة لا تنتهي ولا تنقطع، ولكن مادام أنه في الدنيا باستطاعته أن يغير هذه الشقاوة، بأن يلين لعباد الله U ، ويتقيَ الله تبارك وتعالى .

وعن أبي هريرة t أن رسول الله e قال: (**كان رجل يُداينُ الناس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيتَ معسراً فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عَنَّا، فلقي الله U ، فتجاوزَ عنه**) [2] ، وفي روايةٍ قال الله : (**أنا أحقُ بذلك منك ، تجاوزوا عن عبدي**) .

فالجزاء من جنس العمل ، وقد جاء في الحديث : (**البِرُّ لا يبلى والذنب لا يُنسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان**) [3] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٢) واللفظ له ، والترمذي (١٩٢٣) ، وابن حبان (٤٦٢) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخاري (٢٠٧٨) ، ومسلم (١٥٦٢) ، وأحمد (٤/ ١٢٠) .

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف عن أبي قلابة مرسلاً . وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٦٩) ، والضعيفة (١٥٧٦) .

هذه الرحمة هي الرحمة العامة ؛ الرحمة بكل شيء حتى بالبهائم ، فقد جاء عن النبي e في الحديث الحسن والأحاديث كثيرة في هذا الجانب ونكتفي بحديث واحد ، فعن أبي مسعود t قال : كنا مع رسول الله e في سفرٍ فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمَّرةً معها فرخَان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحُمَّرةُ تُعَرِّش ، فجاء النبي e فقال: (**من فجع هذه بولديها ؟ رُدُّوا ولديها إليها**) ورأى قريةَ نمل قد حرقناها فقال: (**من حرق هذه ؟**) قلنا : نحن . قال : (**إنه لا ينبغي أن يُعَذِّبَ بالنار إلا رب النار**)[1] .

هذا هو إسلامنا ، وهذا هو ديننا وشرعنا ، والحمد لله رب العالمين ، كله رحمة ، وذلك فضل الله تبارك وتعالى على عباده .

أما الرحمة الخاصة : وهي أهم وأشد تأكيداً في أحاديث النبي e ، وهي رحمة الأقارب ، وما تسمى في الشرع بصلة الأرحام ، وهي في الحقيقة رحمة .

عن عبد الرحمن بن عوف t قال : سمعت رسول الله e يقول : " قال الله U: أنا الله، وأنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته – أو قال : بتتُّه " [2] .

فمن هو صاحب هذه الرحم التي يجب علينا أن نصلها ، ومن قطعها ارتكب كبيرةً من الكبائر ؟.

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٧٥) .

(٢) رواه أبو داود (١٦٩٤) ، والترمذي (١٩٠٧) ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

قال العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى : والرحم التي تجب صلتها : كل رحم من ذوي الأرحام الذين قسم الله U لهم في الميراث ، فمن قسم الله له في ميراثك من بعدك ؛ هو الذي يجب عليك أن تصل رحمه ، وزاد بعض العلماء : رحم الأم الخال والخالة .

وصحح ذلك الإمام النووي رحمه الله تبارك وتعالى في شرحه على صحيح مسلم ، وبيَّن أن الرحم التي يجب على المسلم أن يصلها هم الذين يتوارثون ، أما ما عدا ذلك فهي رحم يستحب صلتها ويُكرَهُ قطيعتُها .

والمتوارثون هم :

١- جهة الأبوة : الأب والجد وإن علا .

٢- جهة الأمومة : الأم وأم الأم وإن علت ، و أم الأب وإن علت ، وأم أب الأب وإن علا .

٣- جهة البنوّة : الابن وابن الابن وإن نزل ، والبنت وبنت الابن وإن نزل أبوها .

٤- جهة الأخوة : الأخ الشقيق ، وابن الأخ الشقيق وإن نزل ، والأخ لأب ، وابن الأخ لأب ، وإن نزل ، والأخ لأم ، والأخت الشقيقة ، والأخت لأب ، والأخت لأم .

٥- جهة العمومة : العم الشقيق وابن العم الشقيق وإن نزل ، العم لأب ، وابن العم لأب ، وإن نزل .

٦- جهة الزوجية : الزوج ، والزوجة .

وأضاف العلماء ـــ كما ذكرنا ـــ رحم الأم وهم : الخال والخالة ، والله تبارك وتعالى أعلم وأجلُّ وأكرم .

فالواجب على المسلم أن يصل هذه الأرحام ، ولكننا نرى في هذه الأيام عجباً ؛ نرى كثيراً من الناس يصلون الأباعدَ ، ويقطعون الأقارب ، ويقولون : أرحام !؛ وهم لا يعرفون ماهي الأرحام ، ولا يعرفون ماهي الرحم التي ألزم الله U وأمر بصلتها ؛ فتجده عند أصهاره ، وهو تاركٌ لأمه وأبيه، وأخيه وأخته ، وخالته وعمته ، وغير ذلك من أقاربه الذين ألزمه الله تبارك وتعالى بصلتهم ؛ وتجده يقول أنا أصل رحمي ؟! كيف تصل رحمك ؟! لابد أن تعرف أن هناك تسلسلاً ، وأن هناك تَدَرُّجاً ، وأن هناك مراتبَ لا يمكن أن يتقدم على الأب والأم أحدٌ ، ولا يمكن أن يتقدم على الأبناء وعلى الزوجة ، وهكذا ؛ فهناك تسلسل وتدرج ؛ الأولى فالأولى ، فعلى المسلم أن يعرف هذا التدرّج ، وأن يحسنه ، وأن يراقب الله تبارك وتعالى ، ولا يستعمل هواه ، ولا يستعمل رغباته ومزاجه ، فيقدم من أحب ويترك من لا يُحب ، فإن هناك أرحاماً واجبةً هي التي ذكرناها ، لا يجوز لمسلم بحال من الأحوال أن يتخلى عنها ، أو أن يقطعها ، ومن قطعها فقد ارتكب كبيرةً من الكبائر والعياذ بالله U .

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله e : (**الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله**) [1].

وعن سعيد بن زيد عن النبي e أنه قال : (**من أربى الربا الاستطالة في عرض مسلم بغير حق وإنَّ هذه الرحم شجنةٌ[1] من الرحمن U فمن قطعها حرَّم الله عليه الجنة**) [2].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٥) .

فالرحمُ من رحمة الله تعالى ، فمن قطعها جازاه الله بأن قطع عنه الرحمة ، وهي جنة عرضها السماوات والأرض .

وعن أبي هريرة t أن رسول الله e قال :(**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه**) [٣].

وعن أنس بن مالك t قال : سمعت رسول الله e يقول : (**من سرَّه أن يُبسط له في رزقه وأن يُنسأ له في أثره** ــ أي: يُمَدَّ له في عمره ، أو يبارك له فيه ــ **فليصل رحمه**)[٤]. وفي رواية: (**ويُدفعُ عنه ميتة السوء**).

وعن أبي بكرة t أن رسول الله e قال : (**ما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا ، مع ما يُدَّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**) [٥] .

وعن جبير بن مطعم t ، أنه سمع النبي e يقول: (**لا يدخل الجنة قاطع**)[٦] يعني : قاطع رحم .

---

(١) شُجنة : أي : مشتبكة ، كاشتباك العروق .

(٢) رواه أحمد (١ / ١٩٠) وقال محققو المسند (١٦٥١) : إسناده صحيح . والحديث رواه كذلك أبو داود (٤٨٧٦) ، والحاكم (٤ / ١٥٧) .

(٣) رواه البخاري (٦١٣٨) ، ومسلم (٤٧) .

(٤) رواه البخاري (٢٠٦٧) ، ومسلم (٢٥٥٧)

(٥) رواه الترمذي (٢٥١١) ، وأبو داود (٤٩٠٢) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٦) رواه البخاري (٥٩٨٤) ، ومسلم (٢٥٥٦) .

# # # #

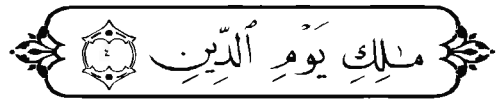

ذكر الإمام الرازي في تفسيره [1] أن الله U بدأ هذه السورة بذكر الألوهية بلفظ الجلالة ، ثم ذكر الربوبية بعدها في قوله : { رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ } ، ثم ذكر : { ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ } ، ثم بعد ذلك ذكر : { مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ } وذكر أن هناك تناسباً ؛ لأن الله تبارك وتعالى أوَّل ما ذكَّرنا بأنه هو الله الخالق ، ثم ذكَّرنا بأنه هو الرب المعبود سبحانه وتعالى ، فإذا أخطأ الإنسان وسهى وغفل وأذنب فهو الرحمن الرحيم، يغفر الذنوب سبحانه وتعالى لمن تاب وأقبل عليه، ثم بعد ذلك حتى لا يغتر الإنسان برحمة الله فيعصيه؛ جاء قوله U: { مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ } فإذا كان هو { ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ } فهو مالك يوم الدين ، وهذا شبيه بقوله U { غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ } [2] ، ولذلك جاءت هنا : { ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ } .

مالك : من الملك ، والمراد : مالك الأمر كلَّه في يوم الجزاء .

---

(١) " التفسير الكبير " (١/ ٢١٦) ط. دار الكتب العلمية . وهو هنا بمعناه .

(٢) غافر : ٣ .

قال ابن عباس t : لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه حكماً كملكهم في الدنيا . أ.هـ[1].

فالناس يملكون في هذه الحياة الدنيا أشياء كثيرة ، ولكن ملكهم مجازياً محدوداً بأعمارهم ، محدوداً بأوقات معينة ، ومحدوداً بأماكن معينة ، ومحدوداً بقدرةٍ معينة ، أما مُلكُ الله جل وعلا ؛ فملكه عامٌ لجميع الخلق ، ومُلكُه في كل زمانٍ وفي كل مكان ، سبحانه وتعالى ، فهو المالك الحقيقي في الدنيا والآخرة .

وليس معنى أنه مالك يوم الدين ، أنه لا يملك الدنيا ؛ لا ، وإنما المقصود أن يوم القيامة ويوم الدين لا يملك أحد معه سبحانه وتعالى شيئاً من الأشياء؛ كقوله U : { لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ }[2] ، وكقوله U: { ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا }[3] فالإنسان يملك أرضاً ، ويملك سيارةً ، ويملك أشياءَ ، ولكن ملكه ملكاً ضعيفاً محدوداً ، في زمن معين ، وبقدرة معينة ، وبمكان معين ، أما الله تبارك وتعالى ، فهو المالك المطلق U .

فتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ، وإنما أضيف إلى يوم الدين ؛ لأنه لا يدعي أحد هناك شيئاً ، ولا يتكلَّم أحد إلا بإذنه ، قال

---

(١) " تفسير ابن كثير " (١/ ١٥٧) ط. ابن حزم .

(٢) غافر : ١٦ .

(٣) الفرقان : ٢٦ .

عبد الله ابن عباس t : " ويوم الدين : يوم الحساب للخلائق ، وهو يوم القيامة يدينُهم بأعمالهم ، إنْ خيراً فخير ، وإنْ شراً فشر "[1] .

وناسب أن يكون الجزاء بعد ذكر الألوهية ، ثم الربوبية ، ثم الرحمة ، قال الله تعالى: { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ } .

ورود عبارة { يوم الدين } في القرآن :

{ يَوْمِ ٱلدِّينِ } يعني يوم الجزاء ؛ سُمِّيَ ديناً لأن الله U يدينهم بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، إلا من عفى الله تبارك وتعالى عنه .

وقد سمَّى الله يوم الجزاء بيوم الدين في آياتٍ كثيرة ، وكأنه شبيهٌ بالدَّيْنِ الذي يأخذه الإنسان ثم يُسدّده بعد ذلك ؛ ومن هذه الآيات :

قال تعالى : { إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ..... }[2] .

وقال جل وعلا : { وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ }[3] .

---

(١) " تفسير ابن كثير " (١/ ١٥٧) .

(٢) الانفطار : ١٣ -١٧ .

(٣) الشعراء : ٨٢ .

وقال سبحانه : { وَقَالُواْ يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ هَذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۞ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ } (١) .

وقال جل وعلا : { يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ } (٢) .

وقال U : { ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ } (٣) .

وقال تبارك وتعالى : { وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ } (٤).

وقال سبحانه : { وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ } (٥).

وقال جل وعلا : { ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ } (٦) .

وقال سبحانه : { فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ } (٧) .

وقال تبارك وتعالى : { أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ } (٨) .

الجزاء من جنس العمل :

---

(١) الصافات : ٢٠-٢٢ .
(٢) الذاريات : ١٢-١٤ .
(٣) الواقعة : ٥١ - ٥٦ .
(٤) المعارج : ٢٦ .
(٥) المدثر : ٤٦ .
(٦) المطففين : ١١ .
(٧) التين : ٧ —٨ .
(٨) الماعون : ١-٢ .

والجزاء إنما يكون من جنس العمل ، كما ذكر ربنا تبارك وتعالى في كتابه ، وأكده نبينا e في سنته ، فمن عمل عملاً طيباً جازاه الله تبارك وتعالى بالطيب ، ومن عمل عملاً سيئاً جازاه الله تبارك وتعالى بالسيء ، فإنه سبحانه حكمٌ عدلٌ لا يُحبُّ الظلم ولا يرضاه .

قال تعالى : { مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ }

وقال تبارك وتعالى : { إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (١) .

وقال سبحانه : { لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ } (٢) .

وقال تبارك وتعالى : { هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (٣) .

وقال جل وعلا : { وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (٤) .

وقال U : { ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (٥) .

وقال سبحانه : { جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ } (٦) .

وعن جابر بن عبد الله t قال : قال رسول الله e :(**برّوا آبائكم تبرّكم أبناؤكم ، وعفُّوا تعفُّ نساؤكم**) (١) .

---

(١) الطور : ١٦ .

(٢) إبراهيم : ٥١ .

(٣) النمل : ٩٠ .

(٤) يس : ٥٤ .

(٥) الجاثية : ٢٨ .

(٦) الواقعة : ٢٤ .

فهذه النصوص واضحةٌ في أن الجزاء من جنس العمل ، لكن الله تبـــارك وتعالى ، تفضلاً منه وتكرماً وإحساناً إلى عباده ، يجازي على الحسنة بعشر أمثالها ، بل يُضاعِفُ ما يشاءُ لمن يشاء سبحانه فهو كريم جواد ، ويجـــازي على السيئة بمثلها ، وقد يعفو ويسامح فهو سبحانه غفور رحـــيم ، قـــال ســـبحانه : { مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }[٢] فلا يزاد في سيئاتهم ، ولا يُنقص من حـــسناتهم ؛ لكمال عدله وفضله وكرمه ورحمته سبحانه وتعالى.

روى أحمد عن جابر t مرفوعاً إلى النبي e أنه قـــال : (**يحـــشر الله العباد يوم القيامة** ـــ أو قال : ـــ **الناسَ عراةً غرلاً بُهماً**) قال : قلنا : وما بُهماً ؟ قال : (**ليس معهم شيءٌ ، ثم يناديهم بصوت يَسمَعُهُ منْ بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ : أنا الملك ، أنا الدَّيَّان، ولا ينبغي لأحد من أهل النـــار أن يدخل النارَ وله عند أحد من أهل الجنة حقٌ حتى أقُصَّه منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخلَ الجنةَ ولأحدٍ من أهل النارِ عندَه حقٌ حـــتى**

---

(١) رواه الحاكم (٧٣٤١) ، وهو عند الطبراني في الأوسط (١٠٠٢) من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً ؛ قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٨ / ١٣٨ ، ١٣٩) : رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني ؛ أحمد ، فإنه غير منـــسوب ، والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه فلذلك لم ينسبه . والله أعلم ا. هـــ .

(٢) الأنعام : ١٦٠ .

أقُصَّه منه ، حتى اللطمة) قال : قلنا : كيف ، وإنا إنما نأتي اللهَ U عُـــراة غُرلاً بُهماً ؟ قال : (**بالحسنات والسيئات**)[1] .

وروى مسلم من حديث أبي هريرة t عن النبي e قـــال : (**لتـــؤدَّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**)[2] . وفي رواية : (**وحتى للذَّرة من الذَّرة**)[3]. فكيف ببني آدم الذين كلَّفهم الله U بأحكام هذه الحياة الدنيا ؟!.

فيومُ القيامة يومٌ تسُدَّدُ فيه الديون ، ويجازى فيه كل إنـــسانٍ بعملـــه ، ولذلك حقوق العباد عظيمة ، لأن الذنوب التي بينك وبين اللهِ مبناها على المسامحة ، إن عفى الله عنك وغفر الله لك فُزتَ ونجوت ، وأما حقوق العباد فلا ؛ فليس فيها عفو من الله حتى تَرُدَّ حق الناس إليهم ، ومن أين للإنسان أن يرد حق الناس إليهم يوم القيامة ؟! وقد غادر الدنيا ؟! وهنا ينبهنا النبي e ويذكرنا بأن علينا أن نبادر في هذه الحياة الدنيا برد الحقوق لأصـــحابها قبل يوم القيامة، والحذر من ظلم العباد.

عن جابر بن عبد الله t أن النبي e قال: (**اتقوا الظلم فإن الظلـــم ظلمات يوم القيامة**)[4]، ناسب الظلم الظلمات ، لما كان الظلـــم كلـــه ظلمات في الدنيا ، وكله ظلام والعياذ بالله U ؛ جازى الله تبارك وتعـــالى الظالم بالظلمات.

---

(١) رواه أحمد (٣ : ٤٩٥) وقال محققو المسند (١٦٠٤٢) :إسناده حسن .

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٢) ، والترمذي (٢٤٢٠) .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٢٣ ، ٣٧٢ ، ٤١١) ولفظه : (يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجَمَّاءِ من القرناء وحتى للذرة من الذرة) وقال الحـــافظ المنـــذري في الترغيب (٥٢٧٨) : ورواته رواة الصحيح .

(٤) رواه مسلم (٢٥٧٨) .

وعن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : (**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عِرضه أو من شيءٍ ، فليتحلَّله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم ، إن كان له عملٌ صالح أُخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئاتِ صاحبه فحُمل عليه**) [1] والعياذ بالله U .

وروى مسلم أيضاً في الذي يشرب الخمر والعياذ بالله U ، ويتعاطى المخدرات ، عن جابر بن عبد الله t قال : قال رسول الله e : (**وإنَّ على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طين الخبال**) قالوا يا رسول الله : وما طينة الخبال ؟ قال : (**عرق أهل النار ، أو : عصارة أهل النار**) [2] كما شرب مما حرمه الله عليه ، يسقيه الله U عرق أهل النار أو عصارهم ، فالجزاء من جنس العمل .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله e: (**الرحم معلقةٌ بالعرش تقول : من وصلني ، وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله**) [3] . فإن وصلتَ الرحم يصلك الله U بجنته ، وإن قطعت الرحم يقطعك الله U في نار جهنم ، والعياذ بالله U .

وعن أنس بن مالك t قال : قال رسول الله e : (**لما عُرج بي مررت بقومٍ لهم أظفار من نُحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من**

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩) .

(٢) رواه مسلم (٢٠٠٢) .

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٥) .

هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم النـــاس ويقعـــون في أعراضهم) [1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : (**رأيت الليلة رجلين أتياني** ـــ إلى أن قالا ـــ **وأمَّا الذي رأيته يشق شدقه فكذَّاب يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق ، فيُصنع به هكذا إلى يوم القيامة**) [2] .

وفي الحديث : (**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثـــال الـــذَّر في صُـــوَر الرجال ، يغشاهم الذل من كلِّ مكانٍ ، يساقون إلى سجنٍ في جهنم يقال له: بولس ، تصلوهم نيرُ الأنيار ، يُسقون من عصارة أهل النـــار " طينـــة الخبال "**)[3]. الجزاء من جنس العمل ؛ تكبروا في الـــدنيا علـــى النـــاس ، فجعلهم الله يوم القيامة أمثال النمل ، وأمثال الذر، تطؤهم الناس بأقدامهم ، في ذلك العرض العظيم الرهيب .

وفي الحديث الصحيح قوله e : (**ما من صاحب ذهب ولا فـــضة لا يؤدي منها حَقها إلا إذا كان يومُ القيامة صُفِّحَت له صفائح من نـــار ، فأُحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى جَنْبُهُ وجبينُه وظهرهُ ، كلمـــا رُدَّتْ**

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٢٤) ، وأبو داود (٤٨٧٨) ، وقال محققو المسند (١٣٣٤٠) : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه البخاري (٧٠٤٧) ، ومسلم (٢٢٧٥) .

(٣) رواه البخاري في " الأدب المفرد " (٥٥٧) ، والترمـــذي (٢٤٩٢) ، وأحمـــد (٦٦٧٧) .

أُعِيدت له ، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله ، إما إلى الجنة وإما إلى النار) [1]. الجزاء من جنس العمل.

وأما من كان عمله طيباً وصالحاً ، فقد قال سبحانه وتعالى : { مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } [2] فيجازيه الله بالحسنى .

عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : (**من نفَّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً من كُرَبِ يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**)[3].

وفي رواية : (**ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله e : (... **ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها ، ثبَّت الله قدميه يوم تزل الأقدام**) [4] ؛ الجزاء من جنس العمل ؛ لأنه ذهب مع أخيه المسلم على قدميه حتى ثبت حاجته ؛ ثبت الله قدميه يوم القيامة ، يوم تزل الأقدام .

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٢) ، ومسلم (٩٧٨) واللفظ له .

(٢) الأنعام : ١٦٠ .

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩) .

(٤) قال المنذري في " الترغيب " (٣٨٦٠) ، (٣٨٨٣) : رواه ابن أبي الدنيا ، والأصبهاني . وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (٨/ ١٩١) : رواه الطبراني في الثلاثة ، وفيه مسكين بن سراج ، وهو ضعيف . ا.هـ.

وعن معاذ بن جبل t قال : سمعت رسول الله e يقول : قال الله تبارك وتعالى : (**وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتزاورين فيّ ، والمتباذلين فيّ**)[1] .

الجزاء من جنس العمل ، لأنهم أحبوا إخوانهم في الله ، فأحبهم الله U ؛ جازاهم بمثل عملهم .

وعن أبي سعيد الخدري t قال : قال رسول الله e : (**أيما مؤمنٍ أطعم مؤمناً على جوعٍ أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمنٍ سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عُريٍ كساه الله U يوم القيامة من حلل الجنة**)[2].

وكذلك قال e : (**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**)[3]؛ لأنه هو اليتيم عليه الصلاة والسلام ، وهو أشرف الأيتام ، فمن كفل يتيماً أكرمه الله بجوار أشرف الأيتام نبينا وحبيبنا محمد e .

فقوله تبارك وتعال : { مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ } أي : مالك يوم الجزاء ، فلا يجازي في ذلك اليوم أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه مالك (٢ / ٩٥٤) وابن حبان (٥٧٥) ، وأحمد (٥ / ٢٣٣) وقال الإمام المنذري في " الترغيب والترهيب " (٤٤٣٧) : إسناده صحيح .

(٢) رواه الترمذي (٢٤٥١) واللفظ له ، وأبو داود (١٦٨٢) ، وقال الترمذي : حديث غريب . قال المنذري في " الترغيب " (١٣٩١) : وقد روي موقوفاً على أبي سعيد ، وهو أصحُّ وأشبه ا.هـ.

(٣) رواه البخاري (٥٣٠٤) ، ومسلم (٢٩٨٣).

من عمل حسنةً ، من عمل صالحاً ، من عمل خيراً ، من عمل طيبـــاً ، جازاه الله U بمثل عمله .

ومن عمل على خلاف ذلك ، جازاه الله بمثل عمله ، ولا يظلم ربـــك أحداً .

# # # #

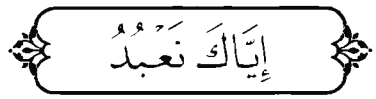

السرُّ في " إياك نعبد "

قال الإمام ابن قيِّم الجوزية رحمه الله : (وسرُّ الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين ... وهما الكلمتان المقسومتان بين الربِّ وبين عبده نصفين فنصفهما له تعالى وهو : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ونصفهما لعبده وهو : { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ })[1].

لماذا قَدَّم : { إياك } على { نعبد } ؟

وقدّم { إِيَّاكَ } على { نَعْبُدُ } لحِكَمٍ منها :

١- تقديماً للخالق على المخلوق ، وتقديماً للمعبود على العبد ، ولما في تقديم العبد على المعبود من الكبر ، فإذا قال العبدُ : نعبدُ إياك ، فقد قدَّم نفسه على الله تبارك وتعالى ، وفي هذا شيءٌ من اعتبار الذات ، و شيءٌ من الكبر ، والله تبارك وتعالى يعلمنا الأدب ، ويعلمنا التواضع .

٢- أنك إذا عرفت الله سهلت عليك العبادة بعد ذلك ، أما لو عبدته على غير معرفة به ∪ ، فتكون العبادة شاقة ، ولكن لما قلت { إياك } وعرفت الله ∪ بأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ عند ذلك سهلتْ عليك عبادته سبحانه وتعالى .

---

(١) " مدارج السالكين " (١/٩٥) ط . دار الكتاب العربي .

٣- تقديم المعبود أبلغ في التوحيد من تقديم العبد ، وحتى لا يتبادر إلى الذهن مطلقاً إلهٌ غير الله ، فلو قيل (نعبد إياك) لسوَّل الشيطان للإنسان نعبد الدنيا أم الشهوات أم الشيطان أم الأصنام ، ولكن الله U قطع هذه الطريق تماماً فقال : {**إياك نعبد**} فليس هناك مجال للتشويش ، ولا مجال للشرك مع الله تبارك وتعالى في هذه الآية.

٤- أنه ذكر العبادة بصيغة الجمع {**نعبد**} تأكيداً على فضل الجماعة ، ولأنَّ (أعبد) فيها من الكبر ما فيها ، والمؤمن دائماً يعبد الله مع إخوانه المؤمنين ، ومع إخوانه المسلمين ، ولو عبد الله منفرداً في بيته مع نفسه ، فهو إنما يعبد الله مع الملائكة ، ومع مخلوقات الله التي لا تحصى ولا تعد، فهو على كل حال سواءاً كان منفرداً أو مع جماعة؛ فهو كما أخبر سبحانه : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } والسماء ممتلئة بالملائكة ـ كما صح عن النبي e ـ : (**مافيها موضع قدم إلا فيه ملكٌ واضعٌ جبهته ساجداً لله تعالى**) [1]، السماء أطت وحق لها أن تئط من كثرة ما عليها من الملائكة ؛ فأنت عندما تعبد الله لا تعبده وحدك ، وليست الملائكة فقط هي التي تعبد الله ، بل الشجر والحجر وكل شيء ؛ كما قال جل وعلا : { وَإِن

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٢) ، وابن ماجه (٤١٩٠) ، وأحمد (٥ / ١٧٣) ، والحاكم (٤ / ٥٤٤) من حديث أبي ذر t مرفوعاً . والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي . وقال الترمذي : حديث حسن .

مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } [1]، وكما قال سبحانه : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ } [2] وليس أحد إلا العاصي والكافر هو الذي شذ عن هذه العبادة التي يعبدها جميع خلائق الله تبارك وتعالى .

٥- { وَإِيَّاكَ }، شفاءٌ من الرياء بالإخلاص ، ففيها من الإخلاص ، وفيها من التوجه لله U والقصد ، فالله U لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم ، فقال { **إياك** } وحدك لا شريك لك نعبدك ، فهو تدريب لنا على الإخلاص ، فمهما كانت الأعمال عظيمةً وخلت من الإخلاص لله U ، وابتغاء وجهه الكريم ؛ أصبحت جوفاء ليس لها قيمة والعياذ بالله U من ذلك .

معنى العبادة :

(**والعبادة** : تجمع أصلين : غاية الحب وغاية الذُّل والخضوع ، والعرب تقول : طريقٌ معبّدٌ أي: مذلل ، فمن أحببتَه و لم تكن له خاضعاً، لم تكن عابداً له ، ومن خضعت له بلا محبة ، لم تكن عابداً له ، حتى تكون

---

(١) الإسراء : ٤٤ .

(٢) النور : ٤١ .

محباً خاضعاً)[1] ، وليس ذلك إلا لله تبارك وتعالى وحده؛ كما جاء في قوله تعالى: { وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ } [2] .

والعبادة هي التي خلق الله الخلق لها؛ لقول الله تعالى: { وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ } [3] .

وهي التي من أجلها أرسل الله الرسل ، كما قال تعالى : { وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ } [4] .

وقوله جل وعلا : { وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ } [5] .

وهي التي أمر الله بها رُسُلَه حتى الموت ، كما ذكر في كتابه العزيز : { وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ } [6] ، وفي الآية دلالة على أن العبادة ليس لها سن معين ، ولا مكان محدد ، وإنما هي في كل زمان وكل مكان .

ولست أنت وحدك الذي تعبده ، بل هناك خلائق كثيرة يعبدونه معك ؛ كما في قول الله تبارك وتعالى : { وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ } [1] .

---

(١) بتصرف من " المدارج " (١ / ٩٥ ، ٩٦) .

(٢) البينة : ٥ .

(٣) الذاريات : ٥٦ .

(٤) النحل : ٣٦ .

(٥) الأنبياء : ٢٥ .

(٦) الحجر : ٩٩ .

وعبادُه الذين اختصهم الله بتلك العبودية ؛ ليس للشيطان عليهم سلطان، ولا سبيلٌ ولا مدخل ، لقوله سبحانه تعالى : { إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ } [٢] ، ولقوله U : { قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ } [٣] .

والعبودية أول كلمة لفظها نبيُّ الله عيسى U وهو في المهد ؛ لقوله تعالى: { فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا } [٤] .

ولذلك قال e – كما في حديث ابن عمر –: (**أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن**) [٥] .

وهي أول طلب طلبه الله من موسى U عندما كلَّمه في الطور ، قال تعالى : { إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ } [٦] .

---

(١) الأنبياء : ١٩ ، ٢٠ .

(٢) الحجر : ٤٢ .

(٣) الحجر : ٣٩-٤٠ .

(٤) مريم : ٣٠ .

(٥) رواه مسلم (٢١٣٢)، وأبو داود (٤٩٤٩)، والترمذي (٢٨٣٣)، وابن ماجه (٣٧٢٨).

(٦) طه : ١٤ .

وهي من أعلى المراتب عند الله تعالى يوم القيامة ، لقوله سبحانه : { إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } (١) .

شروط التحقق بـــ " إياك نعبد " :

ذكر الإمام ابن قيّم الجوزية رحمه الله : أن العبد لا يكون متحققاً بـــــ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } إلا بأصلين عظيمين :

أحدهما : متابعة الرسول e ، والسير على نهجه وسنته وطريقته e ، وترك الابتداع في الدين، وترك الإنشاء والاختراع في دين الله تبارك وتعالى، والاكتفاء بما جاء عن النبي e ، فإنما نحن متبعون ولسنا مبتدعين .

والثاني : الإخلاص للمعبود ؛ فهذا تحقيق { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ، أن تخلص في نيتك وقصدك ، في أعمالك وعبادتك لله U ، لا مراءاةً للنـــاس ، ولا طلباً للجاه ، ولا رغبةً فيما عند الناس ، وإنما طلباً لوجهه الكريم .

فإن وجدت في قلبك والعياذ بالله U شيئاً غير الله تعالى ، فقد عَلَّمنـــا النبي e أن نقول : (**اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمـــه**

---

(١) الإنسان : ٦ .

ونستغفرك لما لا نعلمه)[1] إن قلت هذا الدعاء فقد برئت بـــإذن الله U من الشرك كبيره وصغيره .

والناس مُنقسمون بحسب هذين الأصلين إلى أربعة أحزاب :

الحزب الأول : أهل الإخلاص للمعبود ، والمتابعة للرسول e ، وهم أهل { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } حقيقةً .

الحزب الثاني : من لا إخلاص له ولا متابعة ، وهؤلاء خرجوا بالكليـــة عن هذه الآية { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } فليس لهم فيها نصيب .

الحزب الثالث : من هو مخلص في أعماله ، لكنها على غير متابعة الـــنبي e ، وهذا ضلَّ الطريق .

الحزب الرابع : من أعماله على متابعة النبي e ، لكنها لغير الله وهـــذا هو المنافق والمرائي[2].

والعبودية خاصة وعامة :

فالعبودية العامة : " **عبودية القهر والملك** " كقوله تعالى : { إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ

---

(١) رواه أحمد (٤ / ٤٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري t مرفوعاً ولفظه : (يا أيها الناس ! إتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل) فقال له مَن شـــاء الله أن يقول : كيف نتقيه يا رسول الله وهو أخفى من دبيب النمل ؟ قال : (قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نُشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلم) . قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١٠ / ٢٢٣) : رواه أحمد والطبراني في الكـــبير والأوســـط ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ، ووثقه ابن حبان. ا.هـــ.

(٢) انظر مدارج السالكين (١/١٠٤ - ١٠٦) وهو هنا بتصرف .